أبو الحسن الندوى

مولانا جلال الدين الرومى

المختار الإسلامى
للطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب ١٧٠٧ القاهرة
هاتف ٩٣٦٤٩٦

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

www.abulhasanalinadwi.org

كان العالم الاسلامى فى حاجة شديدة الى شخصية قوية عبقرية مجددة ، قد وصلت بدراستها الى أحشاء الفلسفة .ثم خرجت منها سالمة ، وقد شاهد بتجاربه الواسعة ان الفلسفة سراب يحسبه الجاهل ماء ، وان تدقيقاتها وما تزهى به من بحث وتحقيق طلاسم لفظية وطبول فارغة ، يرغب فيها من لم يختبرها ويتعمق فيها .

كان العالم الاسلامى فى حاجة الى شخصية تستطيع أن تنفخ بقلبها الولوع وعاطفتها القوية روحا جديدة فى المجتمع ، الذى طغى عليه العقل — على حساب العاطفة — وساد عليه الخمود ، شخصية تستطيع أن تؤسس كلاما جديدا لا يصارع العقول ، ولا يكتفى باقحام المجادلين ، بل يحل العقد النفسية والفكرية التى خلفها علم الكلام ويملأ القلوب سكينة وايمانا .

لقد وجد هذا الرجل المطلوب فى شخصية مولانا « **جلال الدين الرومى** » . وقد كان ديوان شعره الذى يعرف عادة بـ « **المثنوى المعنوى** »(١) ثورة على علم الكلام الذى فقد جدته وقوته ، ونقد الفلسفة فى اتجاهها ومنهجها ، وعلى الفلسفة التى تجاوزت حدودها ،

(١) ترجم الى العربية ترجمة دقيقة من قبل أحد أساتذة جامعة بيروت العربية وطبع فى جزاين فاخرين عام ١٩٦٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

وبالغت فى تقدير الحواس وتقديس العقل ، وكان اساسا لكلام جديد كان أكثر اقناعا للعقول الجامحة الثائرة ، والنفوس المضطربة الحائرة من علم الكلام ، الذى تزعم ذلك وتكفل به طوال القرون .

ترجمة حياته :

ولد(١) جلال الدين محمد الرومى ، فى سادس ربيع الأول ، سنة ٦٠٤ هـ فى « بلخ » من أعمال أفغانستان ، وكان والده محمد الملقب « بهاء الدين ولد » من كبار علماء بلاده ومشائخ عصره ، وقد لقب بسلطان العلماء ، ينتهى نسبه الى سيدنا ابى بكر الصديق رضى الله عنه .

بدأ جلال الدين دراسته عند الشيخ برهان الدين المحقق « الترمذى » الذى كان من تلاميذ والده ، ونبغ على يده ، وقد كان والده الشيخ « بهاء الدين » ينتقد علماء العصر لعكوفهم على دراسة العلوم العقلية وتعليمها ، وانصرافهم عن القرآن والحديث ، وكان الشيخ مهابا جليل القدر يجله العامة والخاصة ، وتأتيه الفتاوى من أقاصى البلاد ، فحسده العلماء وأوغروا

(١) اعتمدنا فى تلخيص ترجمته وأخباره على كتاب « صاحب المثنوى » للأستاذ المحقق القاضى تلمذ حسين الهندى ، وهو خير ما كتب فى هذا الموضوع ومن أوثق المصادر ، واستفدنا قليلا من كتاب « زندكانى مولانا جلال الدين » للأستاذ بديع الزمان فروزانفر أحد أساتذة الأدب فى جامعة طهران .

www.abulhasanalinadwi.org

صدر الملك عليه ، وقد هاله التفاف الناس حوله وصدورهم عن رأيه ، فأوعز اليه بالخروج من البلاد ، وهاجر الشيخ بأهله ، وأقام فى مدن كثيرة كان فيها موضع حفاوة بالغة واجلال ، حتى استقر فى « قونية » سنة ٦٢٦ هـ بدعوة من « علاء الدين كيقباد » سلطان الروم ، الذى احتفى به ، وبالغ فى اكرامه ، وبايعه .

مكث الشيخ « بهاء الدين » سنتين فى قونية وتوفى سنة ٦٣٨ هـ ، وخلفه ولده النابغة مولانا « جلال الدين » وبنى له الأمير بدر الدين « كهرتاش » أستاذ السلطان ، مدرسة عرفت بمدرسة « خداوندكار » ووقف لها أوقافا واسعة ، ولاه رئاستها . واستمر جلال الدين فى التدريس والوعظ والارشاد على نمط والده العظيم ، ولم يمنعه هذا الجاه العريض والمكانة المرموقة من التوسع فى الدراسات ، والتبحر فى العلوم، وسافر سنة ٦٣٠ هـ الى بلاد الشام ، ومكث فى المدرسة « الحلاوية » بحلب ، واستفاد من كمال الدين ابن العديم ، وقد أقر له علماء حلب بالنبوغ والاطلاع الواسع ، ومن حلب توجه جلال الدين الى دمشق ، حيث أقام بالمدرسة « المقدسية » ، وكانت له مجالس لطيفة مع الشيخ محيى الدين بن عربى ، والشيخ سعد الدين الحموى ، والشيخ عثمان الرومى ، والشيخ أوحد الدين الكرمانى ، والشيخ صدر الدين القونوى ، وقد اجتمعوا فى دمشق فى ذلك العصر .

www.abulhasanalinadwi.org

رجع جلال الدين فى سنة ٦٣٤ هـ الى قونية ، وعكف على التدريس والافتاء ، وقد نزح الى « قونية » كثير من العلماء والاشراف الذين هاجروا من بلادهم فى فتنة التتار ، فأصبحت مدينة العلم وملجأ العلماء والفضلاء ، واستقر بها أصحاب الشيخ محيى الدين بن عربى بعد وفاته ، منهم الشيخ صدر الدين القونوى.

كان جلال الدين منقطعا الى التدريس وتحرير الفتاوى ، وكانت مدرسته مدرسة عامرة يدرس فيها أكثر من أربعمائة طالب .

استمر جلال الدين يدرس ويفيد ويعيش كعالم ومدرس ، حتى حدثت له حادثة قلبت تيار حياته واتجاهه ، وفتحت قريحته وأشعلت مواهبه ، وكانت سبب شهرته وتأثيره وخلوده .

فى جمادى الآخرة سنة ٦٤٢ هـ وصل الى « قونية » رجل من الصوفية من « تبريز » فى ايران ، اسمه « محمد بن على بن ملك داد » ويعرف بشمس تبريز ، يعرف الناس عن نسبه واحواله قليلا ، وخرج جلال الدين يوما فى موكبه من التلاميذ والعلماء ، والناس حوله يسألونه ويستفيدون منه ، وتقدم شمس الدين الى الراكب المحتفل به وقال : ما المقصود من الرياضات والعلوم ؟ قال جلال الدين : الاطلاع على آداب الشرع . قال شمس الدين فى هدوء وثقة : لا ، بل الوصول الى المعلوم ، وانشد بيت الحكيم « الثنائى » الذى يقول

www.abulhasanalinadwi.org

فيه : « ان العلم اذا لم يجردك من نفسك فالجهل خير منه » وتحير جلال الدين ، وأصاب شمس الدين هدفه ، وأصمى رميته .

ورجع جلال الدين مع أستاذه الجديد ، وبقى معه فى حجرة أربعين يوما ، وفى رواية أنه اعتكف معه ستة أشهر فى حجرة صلاح الدين زركوب « الدقاق » لا يدخلها الا صلاح الدين ، وامتلأ جلال الدين بروح جديدة ، وانكشف له عالم جديد من الحقائق والاذواق ، والى ذلك أشار جلال الدين فى بيت له بقوله : « ان الشمس التبريزى هو الذى أرانى طريق الحقيقة ، وهو الذى أدين له فى ايمانى ويقينى » ويقول « سلطان ولد » ابن جلال الدين : ان الأستاذ الكبير أصبح تلميذا صغيرا للشيخ التبريزى يتلقى منه الدروس كل يوم ، انه وان كان نابغة فى العلوم ، ومقدما فى الزهادة ، ولكنه رأى عنده علما جديدا لا عهد له به » .

وخضع جلال الدين لشيخه الجديد خضوعا كاملا ، وانصرف اليه انصرافا كليا ، وتشاغل عن تلاميذه ومريديه ، فكبر ذلك عليهم ، وثاروا ، وقالوا : لقد صرفنا أعمارنا فى خدمة الشيخ ، وشاهدنا كراماته ، وبنا طار ذكره فى الآفاق ، وجاء رجل غريب مجهول وقطعه عنا ، واستولى عليه ، فلا سبيل لنا الى لقائه ورؤيته . ووقفت الدروس والمحاضرات ، فلا شك أنه

www.abulhasanalinadwi.org

رجل ساحر أو داهية باقعة ، جرف هذا الجبل الراسى من العلم كتبنة حقيرة وورقة خفيفة » .

واشتدت عداوتهم لشمس الدين ، وعزموا على اقصائه من « قونية » ليخلو لهم وجه أستاذهم ، ويكونوا من بعده قوما صالحين ، وتحمل ذلك شمس الدين فى صبر وحلم ، حتى تجاوز الحد ، وخاف شمس الدين الشر والفتنة ، فخرج من قونية مستخفيا ، وكان ذلك فى غرة شوال عام ٦٤٣ هـ بعدما أقام فى « قونية » عاما وأربعة أشهر .

وحزن جلال الدين لغيبة أستاذه حزنا شديدا ، واعتزل جميع تلاميذه ومريديه ، ولم يتحقق ما أملوه من اقصاء شمس الدين ، وحرم أصحاب الصدق والوفاء من أصحابه الاستفادة من شيخهم الجليل .

وبقى الشيخ منقطعا عن الناس ، منصرفا عن أشغاله ، حتى فاجأته رسالة للشيخ شمس الدين من دمشق ، فطابت نفس جلال الدين ، واقبل الى مجالس السماع كعادته ، واقبل على من لم يساهم فى ايذاء شمس الدين واقصائه بعطف ، وكتب الى شمس الدين رسائل حنين وغرام يقول فى احداها :

أيها النور فى الفؤاد تعال
غاية الوجد والمراد تعال
أيها السابق الذى سبقت منك
مصدوقة الوداد تعال

www.abulhasanalinadwi.org

« جون بيائى ، زهى كشادو مراد
جون نيائى،زهى كساد تعال »(١)
أنت كالشـــمس اذ دنت ونـــأت
يا قريبـــا عـــلى البعـــاد تعال

وهدأت ثائرة النـــاس ، وعرف جلال الدين أن الناس أقلعوا عن عداوة شمس الدين وايذائه ، فأرسل ولده « سلطان ولد » مع هدايا نفيســـة ينثرها على قدميه ، ويطلب منه العفو عمن آذاه ، وأن يصرف عنان عزيمتـــه الى « قونية » وكتب رسالة رقيقـــة منظومة .

ورجع شمس الدين الى « قونيـــة » وابتهج بقدومه جلال الدين ، وسر سرورا عظيمـــا ، وطابت مجالسه مع شمس الدين ، وصفت له الأوقات .

وازداد جـــلال الدين اجلالا لشيخه وحبـــا له واتحادا معه ، ولكنه لم يمض على هذا النعيم زمن طويل ، حتى ثارت الفتنة من جديد ، وكان ممن ساهم فى هذه الفتنة ولده الأوسط « شلبى علاء الدين » وغلب شمس الدين ثانية .

وقامت قيامة جلال الدين وجن جنونه ، وأقصى جـــلال الدين كل من تسبب فى ايذاء شمس الدين ، وطردهم من عنده ، ولكنه شغل نفسه فى هذه المرة

(١) معنى البيت بالعربية :
يا سرورا وسعادة اذا قدمت ، ويا حزنا وكسادا اذا غبت .

www.abulhasanalinadwi.org

بمجالس السماع ، وكان ذلك فى سنة ٦٤٥ هـ .

وبحث جلال الدين عن شيخه فى كل مكان ، ولما لم يجد له اثرا تغيرت حالته ، واصبح لا يصبر عن مجالس السماع لحظة ، وكان يدور فى مدرسته كالهائم ، ويئن ويرسل زفراته ، ويقول فى الحنين الى شيخه الشعر الرقيق ، وينظم القصائد الطوال ، وكان اذا حدثه احد بأنه رأى شيخه أو لقيه فى مكان خلع عليه لباسه شكرا .

وخرج جلال الدين الى الشام ليبحث عنشمس الدين ، ورافقه اصحابه ، ووصل الى دمشق واشعل قلوب اهل دمشق حبا وغراما ، وتعجب الناس وقالوا : من هذا الرجل الذى هام به نابغة عصره ونادرة زمانه هذا الهيام ؟! .

ولما لم ير للشمس عينا ولا اثرا سكنت نفسه ، وقال : لا فرق بينى وبين شمس الدين ، ان كان هو شمسا فأنا ذرة ، وان كان هو بحرا فأنا قطرة ، ونور الذرة من الشمس ، وحياة القطرة من البحر ، ورجع الى « قونية » .

واقام فى « قونية » بضع سنين ، وثار الحب مرة ثانية ، ورجع الى دمشق مع جماعة من اصحابه ، ثم رجع الى « قونية » مقتنعا بأنه عين « الشمس » ، وقال اننى لم اكن ابحث عن « شمس الدين » انما كنت ابحث عن نفسى ، وأن كل ما فى « شمس الدين »

www.abulhasanalinadwi.org

هو فى نفسى ، وأصبح يشاهد فى نفسه ما كان يشاهده فى « شمس الدين » واتخذ الشيخ « صلاح الدين الدقاق » صاحب سره ، وخليفة له ، وجليسه الخاص ، وصار لا يسكن الا اليه ، وعاش صلاح الدين فى هذه الحال عشر سنين ، وتوفى سنة ٦٥٧ هـ ، واتخذ جلال الدين « شلبى حسام الدين » جليسا له بعد صلاح الدين ، وكان السبب فى تأليف المثنوى ، فقد سألت له قريحته بهذا الشعر الخالد ، ولما توفيت زوجة حسام الدين « الشلبى » وتشاغل حسام الدين ، جمدت قريحته وتوقف تأليف المثنوى .

وكان جلال الدين — كما وصفنا من حاله — لا يسكن ولا يرتاح الا الى صاحب موافق تنسجم نفسه مع نفسه ، وكان استاذه السيد « بهاء الدين » أول صاحب له ، فلما مات بقى الشيخ خمس سنوات يشعر بفراغ فى نفسه وفى حياته ، وجاء « شمس الدين التبريزى » فملأ هذا الفراغ وزاد ، ولما غاب شعر جلال الدين بفراغ هائل ، وبقى فى قلق دائم حتى ملأه بصلاح الدين « الدقاق » و « الشلبى حسام الدين » بعده ، وكأنما كانت المواهب المودعة فى ضميره وفطرته فى حاجة الى من يثيرها ويحركها ، ولم يكن تأليف المثنوى الا استجابة روحية لهذا النداء الخفى .

ولم يكن اختيار جلال الدين لأصحابه وجلسائه كصلاح الدين وحسام الدين بفضل علم وزهد أو كشف

www.abulhasanalinadwi.org

وكرامة ، وانما كان لمجانسة بين الأرواح والخواطر ، والنفوس والقلوب . وقد ذكر أن سبب ايثاره لصلاح الدين على غيره واستئثاره به مجانسة بينهما لا غير ، وقال : ان الحب الذى يقوم على المجانسة لا يعقبه ندامة فى الدنيا والآخرة ، ولذلك يتمنى من لم يلاحظ هـذه المجانسة « يا ليتنى لم اتخذ فلانا خليـلا » ، أما المحبون المتجانسون فلا فرقة بينهم ولا عـداوة ، ولا ندامة ولا ملامة « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين » . ويقول : « ان هذه المجانسة هى التى خلقت الايمان فى الصحابة ، وجذبت النفوس الى الرسـول ، واليها يرجع الفضل فى ايمـان كثير من السـابقين الأولين ، لا الى المعجزات فان المجانس يجذب صفات المجانس ، وينصبغ بصبغته » .

وفاته : شهدت « قونية » ـ بلد جلال الدين ـ زلزالا سنة ٦٧٢ هـ ، ودامت الرجفة أسبوعا كاملا ، وكان جلال الدين مريضا رهين الفراش ، وزاره الناس وطلبوا منه الدعاء ، فقال : « ان الأرض جائعة تطلب لقمة دسمة ، وستنالها عن قريب ، ويرفع عنكم هـذا البلاء » وقال أبياتا وقصائد يحن فيها الى لقاء الحبيب ، ويستقبل الموت بنفس منشرحة وثغر باسم ، وعاده صديقه « صدر الدين » فدعا له بالشـفاء القريب ، فاعتذر وقال : هناك الله بالشفاء وما يضرك اذا رفع الحجاب بين الحبيب والحبيب » ؟ وقال وهو فى سياقه

www.abulhasanalinadwi.org

الموت : « ان كنت مؤمنا وحلوا طاب الموت ، وكان الموت مؤمنا ، وان كنت كافرا ومرا ، كان موتا كافرا ومرا » ولم يزل مشغولا ببيان الحقائق والمعارف ، حتى فاضت روحه عند غروب الشمس ، لخمس خلون من جمادى الآخرة ، سنة ٦٧٢ هـ .

ولما خرجت جنازته ، ازدحم عليها أهل البلد ازدحاما كبيرا ، وشيعها أتباع كل ديانة وهم يبكون . وكان اليهود والنصارى يتلون التوراة والانجيل ، وكان المسلمون ينحونهم فلا يتنحون ، وبلغ ذلك حاكم البلد ، فقال لقساوستهم ورهبانهم : ما لكم ولهذا الأمر ؟ وانها لجنازة عالم مسلم ، فقالوا : « به عرفنا حقيقة الأنبياء السابقين ، وفيه رأينا سيرة الأولياء الكاملين » وكانت الجنازة قد خرجت فى الصباح الباكر ، ووصلت الى مقبرة البلد عند المساء ، ودفنت فى الليل .

أخلاقه وصفته :

كان جلال الدين(١) شديد الرياضة والمجاهدة ، كثير التعبد ، قال « سبه سالار » وقد صاحبه أعواما طوالا « لم أره قط فى لباس النوم ، ولم أر عنده فراشا ولا وسادة ، فاذا غلبه النوم نام جالسا » ويقول فى بيت : كيف ينام من يتقلب على حسك السعدان ؟! .

وكان اذا حانت الصلاة توجه الى القبلة وتغير لونه ، وكان كثير الاستغراق فى الصلاة يقول « سبه

(١) أكثر معلومات هذا الفصل مستفادة من كتاب « سوانح مولانا روم » باللغة الاردية للعلامة المرحوم شبلى النعمانى .

www.abulhasanalinadwi.org

سالار » : رأيته مرارا دخل فى الصلاة وقت العشاء ، وقضى الليل كله فى « ركعة » وقد وصف جلال الدين صلاته فى شعره وصفا جميلا بليغا يدل على أن صلاته صلاة محب مستغرق هائم ، يغيب عن نفسه ويشتغل بربه ، فلا يشعر بمكان وزمان ، وأمام وركوع وسجود ، يسيل دموعا ويذوب محبة ، ويحترق ، وقد بكى مرة فى الصلاة وابتل الوجه واللحية بالدموع الغزار ، وكان الزمن زمن شتاء ، والبرد فى « قونية » شديد ، فجمدت الدموع على الخد واللحية وهو فى صلاته .

وكان زاهدا متقللا قنوعا ، يقسم كل ما يأتيه من هدايا الملوك والأمراء والأغنياء ، وقد يكون فى خصاصة ، وكان يفرح اذا كان فى فاقة أو جوع ، ويقول : « الآن أشم رائحة التجرد والافتقار الى الله » .

وكان عظيم السخاء كثير البذل والايثار ، اذا جاء سائل وليس عنده شيء خلع له قميصه أو عباءته ، لذلك كان يلبس قميصا ليسهل عليه خلعه وكان عظيم الصبر والاحتمال .

مر فى طريقه بكلب نائم فى عرض الطريق ، فوقف ينتظر انتباهه ، وكره ازعاجه ، ومر به رجل يعرفه ، فزجر الكلب وخلى له الطريق وكره ذلك جلال الدين ، وقال : قد آذيته » .

ومر برجلين يتسابان ، وقال احدهما للآخر :

www.abulhasanalinadwi.org

انك اذا اسمعتنى واحدة اسمعتك عشرا ، فقال : دونكما نفسى ! فان اسمعتمانى الفا لم اسمعكما واحدة ، وخر الرجلان على قدميه وتصالحا .

وكان حريصا على كسب الحلال ، يكره البطالة والرزق الذى يأتيه من غير شغل ، وكانت له جراية خمسة عشر دينارا من الأوقاف ، فكان يكتب الفتاوى مقابل ذلك ، حتى يستحل ويستحق هذه الجراية ، وكان قد أوصى تلاميذه أن يخبروه اذا جاء استفتاء ، حتى لا يتأخر عن اجابته . وكان محتجبا عن الناس ، زاهدا فى لقاء الامراء والسلاطين ، اعتذر اليه امير عن عدم الزيارة ، فقال : لا داعى الى الاعتذار ، فالغيبة احب الى من الحضور » .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

مولانا جلال الدين الرومى
مفكر مبتكر ، ومؤسس علم كلام جديد
« المثنوى المعنوى » موضوعه وأغراضه :

تدل ترجمة حياة « جلال الدين » على انه كان قوى العاطفة ، وجدانيا ، ملتهب الروح ولوع القلب ، صاحب استعداد كبير ومواهب عظيمة ، قد عجنت طينته بالحب ، وقد غطى هذه الشرارة الانهماك فى العلوم الظاهرة ، والاشتغال الزائد بالعقليات ، وجاء شمس الدين التبريزى — وهو شعلة حب ووجدان — فالهب هذه الشرارة الكامنة ، واثار الطبيعة المطمورة فى ركام البيئة والعادة ، والثقافة والتربيـــة ، فاذا بجلال الدين عود ملتهب ، ومجمرة مشتعلة ، وعـــين بصيرة مفتوحة ، ونفس حساسة تواقة ، قد اشتعلت حاســـته الباطنة ، وارتفعت عن عينـــه الحجب ، وانكشفت له الحقائق المستورة وراء الالفاظ ، وانهالت عليه المعانى ، وتواردت على قلبه وضـــميره العلوم الصحيحة ، فاترعت كأسه وفاضت ، وكل من كان هذا شأنه يصعب عليه السكوت والهدوء ، ويعز عليه الا يجدانيسا او جليسا يرى فيه صورة نفسه ، ويفضى اليه بذات صدره ، ويشكو اليه آلامه وآماله ، ويبث اليه أسراره وافكاره . وكل من كان هذا شأنه يقبل على السماع يتسلى به ، ويتغذى ويتعالج به ويتداوى،

www.abulhasanalinadwi.org

وأقبل على الشعر — ان كان صاحب قريحة — يعبر به عن علومه الدقيقة ، وخواطره الرقيقة ، ويخفف به عن نفسه وبرجائه ، وغلبه الشعر والتغنى ، فما يستطيع له دفعا ، وأنشد معتذرا :

سقونى وقالوا لا تغن ولو سقوا
جبال سليمى ما سقيت لغنت

واتجه هذا الشعر الفائض المرسل الذى هو فيض الخاطر ورشح القلب الى الموضوع الذى يشغل الشاعر أو يشغل العصر ، فتناوله واشتغل به واستخدم الشاعر رقة الشعر ولطف التعبير ، وحلاوة الجرس وموسيقى الوزن والقوافى ، وفكاهة الأدب ، لتأدية فلسفته الدقيقة العميقة ، والمعانى اللطيفة الفامضة ، والمبادىء الرفيعة التى تشغل فكره وتجيش فى خاطره ، فكان كلامه أوقع فى النفوس ، وأحلى فى القلوب ، وأسهل فهما وأيسر تناولا ، وأكثر نفوذا وتغلغلا فى المجتمع والآداب ، وكذلك فعل الحكيم « السنائى »(١) فى « الحديقة » و (فريد الدين العطار)(٢) فى « منطق الطير » فكان لهما تأثير لم يكن لكتاب فلسفة جاف ، أو بحث علمى دقيق ، فكان هذان الكتابان السائران المقبولان فى الأدب الفارسى ، بل

(١) هو أبو المجد ابن آدم السنائى الشاعر الصوفى المشهور كان معاصرا لبهرام شاه الغزنوى توفى سنة ٥٢٥ هـ .

(٢) ولد سنة ٥١٣ وتوفى ٦٢٧ هـ وكان معاصرا لخوارزمشاه

www.abulhasanalinadwi.org

الأدب الاسلامى ، حافزين لجلال الدين الى تأليف « المثنوى » وقدوة ومثالا له ، كما حكاه صاحبه حسام الدين الشلبى .

ولما كان علم الكلام هو الشغل الشاغل لعصر جلال الدين ، وأصبحت الحقائق من عقائد ومباحث الهية وحقائق غيبية : كالألوهية وصفاتها ، والنبوة وأحكامها ، والغيب والوحى ، الجنة النار ، الى غير ذلك اصبحت هذه الحقائق موضوع البحث والجدال ، وحديث النوادى والمجالس ، واتجهت النفوس الى التشكك فيها أو نفيها ، وظهر فى الأوساط العلمية الاضطراب فى العقيدة ، كان ذلك موضوع « المثنوى » والقطب الذى يدور حوله .

لقد عاش جلال الدين فى وسط الأشاعرة ومدرستهم الفكرية ، وكان قبل ان يقابل شمس الدين استاذا كبيرا وعالما جدليا ، ولكن بعد ما جذبته الجاذبة الربانية ، وانتقل من القيل والقال ، الى حقيقة الحال ، ومن الخبر الى النظر ، ومن الالفاظ الى المعانى ، وبطل عنه سحر المصطلحات والتعريفات التى يتبجح بها المنطق ، ووصل الى لب اللباب وغاية ما فى الباب انكشفت له مواضع ضعف الفلسفة وعلم الكلام فى فهم هذه الحقائق ، ومواضع غلطهم فى الاستدلال والقياس والاعتماد فى تقريرها أو نفيها على العقل والحواس ، وعرفه أن بضاعتهم مزجاة فى هذا الموضوع ، ومن هنا تناول علم الكلام والفلسفة بالنقد والتزييف .

www.abulhasanalinadwi.org

نقده للاعتماد على الحواس فى تقرير الحقائق الدينية :

لقد كان اكبر اعتماد الفلسفة والعقليات فى هذا العصر على الحواس الظاهرة ، وقد كانت الحواس الخمس تعتبر الميزان الصحيح لثبوت « الحقائق » ، وكانت تعتبر أوثق مصدر واقواه لحصول العلم الصحيح واليقين ، وقد كان « المثقفون » — كما ذكرنا — يميلون الى نفى كل ما لا يدرك بالحواس الخمس ولا يأتى تحت الحس ، ويسرعون الى انكاره ، ويتحاشون تقريره والاعتراف به ، وكانت هى النزعة السائدة فى المدارس والمجالس ، وقد كان المعتزلة — ومن نحا نحوهم — اكبر الدعاة الى هذه الفكرة التى نسميها « الحسية » وقد اضعفت هذه الفكرة الايمان بالغيب ، وضعفت بتأثيرها الثقة بالحقائق الغيبية التى جاءت بها الشرائع ، والحت عليها الاديان السماوية ، وقد انتقد جلال الدين هذه النزعة وانصارها فى « مثنويه » بقوة وصراحة ، يقول فى موضع :

ان « الحسية » : (الاعتماد على الحواس فى تقرير الحقائق الدينية) يتزعمها المعتزلة ، وهم عبيد مسخرون لها ، ويزعمون انهم من اهل السنة ، ولكن اهل السنة لا يتقيدون بهذه الحواس ، ولا يمكنون عليها عبادة وخضوعا »(١) .

---

(١) المثنوى طبع لكهنؤ ص ١٠١ .

www.abulhasanalinadwi.org

انه يقرر ، ان هنالك حواس باطنية وراء هذه الحواس الظاهرة ، كنسبة التراب والخزف الى الذهب الخالص والتبر المسبوك . ويقول : « ان الحواس الظاهرة تستمد غذاءها وقوتها من الابدان والاشباح ، اما الحواس الباطنية ، فانها تستمد غذاءها وقوتها من النفوس والأرواح ، وان قوت الأولى الظلام الذى فطرت عليه الاجسام ، وقوت الآخرة « الحواس الباطنة، النور الذى فطرت عليه الأرواح والقلوب »(١).

انه يقرر انه لا يكفى لنفى شىء أنه لا يرى بالابصار ، ولا يدرك بالحواس . ان الباطن دائما كامن وراء الظاهر ، ومضمر فيه ، كالفائدة فى الدواء . يقول : « ان المنكر يقول دائما : انى لا أرى الا الظاهر ، والظاهر دائما يخبر بالحكم المضمرة ، الا ترى الى الأدوية النافعة كيف كمن فيها فائدتها وتأثيرها ؟»(٢).

يقول : « ان الذين اعتمدوا على حواسهم الظاهرة واقتصروا عليها ، وأنكروا كل ما عداها ، ضيعوا حواسهم الباطنة ، وفقدوا قواهم ومواهبهم التى منحهم الله اياها ، أصبحوا محجوبين عميانا ، لا يمشون الا بعكازة أو بقائد يقودهم ، وأصبح كثير من الحقائق والدقائق مستورة عنهم »(٣) .

---

(١) المثنوى لكهنؤ ص ١٠١ .

(٢) أيضا ، ص ٣٦٨ .

(٣) أيضا ، ص ٢٣٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

وظيفة العقل وحدوده :

انه لا يقتصر ـ فى نقده ـ على الحواس الظاهرة ، ولا يقرر قصورها وعجزها عن الوصول الى الحقائق الغيبية فحسب ، بل يشرك معها العقل ايضا ، ويقرر ايضا انه عاجز عن الوصول الى حقائق عالم الغيب ، وعلوم الأنبياء ، لانه لا يملك اساسا وقاعدة للقياس فى هذه المعلومات ، ولا عهد له بهذا العالم الفسيح ـ عالم الغيب وعالم ما بعد الطبيعة ـ فمثله كمثل رجل ولد وعاش فى البحر المالح ، وليست عنده اية فكرة ولا تقدير للماء العذب الفرات ، يقول فى تهكم : « يا من يعيش فى البحر المالح ماذا تعرف عن الشط وجيحون والفرات ؟ »(١) .

انه يسمى العقل الذى قيد نفسه بالمحسوسات والمقدمات المنطقية بـ « العقل الجزئى المحدود » ، وهو عقل ثمرته الأوهام والشكوك ، ووطنه عالم الظلمات ، انه عقل كان عارا للعقل ، وسبة للعاقل ، والجهل افضل من هذا العقل ، ويفضل ان يتحرر الانسان من اسره ويحكم عاطفته وقلبه ولو سماه الناس مجنونا »(٢) .

ويقول : « لقد جربت طويلا هذا العقل المحدود الذى لا يبصر الا المحسوس ولا يعقل الا الظاهر ،

(١) ص ٩٦١ (من المثنوى طبع لكهنؤ) .

(٢) ص ١٥٢ (من المثنوى طبع لكهنؤ) .

www.abulhasanalinadwi.org

الذى يسميه الناس « العقل الحكيم البعيد النظر » . ومن جرب تجربتى ثار مثلى على هذا العقل ، وفضل الانطلاق من قيوده والخروج من حدوده »(١) .

« ولو كان هذا العقل كافيا فى معرفة الحقائق الدينية لكان فخر الدين الرازى — زعيم المتكلمين — أكبر العارفين ، والغواص فى أعماق الدين(٢) ، ولكن الأمر ليس كذلك ، فتفوقه فى معرفة حقيقة الدين كان من تشبع بالايمان واليقين .

« اولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أبر الناس قلوبا ، وأعمقهم علما ، وأقلهم تكلفا »(٣) ولم يقرأوا كتاب حكمة ، ولم يتلقوا درس فلسفة .

الاستدلال الفلسفى رجل خشبية :

انه يعتقد أن العلوم التى اصطنعها الانسان ، والحكمة التى نسبت الى اليونان ، لا تزيد الانسان الا بعدا عن الحقائق واشتغالا عن الخالق ، ولا تفيد الا « الجهل المركب » ، وغرورا وصلفا واعجابا بالنفس ، وادلالا بالالفاظ والقشور ، فمن كان حريصا على سعادته فليزهد فى هذه الفلسفة التى سماها الناس —

(١) ص ٤٨٩ (من المثنوى طبع لكهنؤ) .

(٢) ص ٤٨٩ (من المثنوى) .

(٣) جملة مأثورة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ووصف بها الصحابة رضى الله عنهم .

www.abulhasanalinadwi.org

عن جهل ــ حكمة ، فان كل فلسفة هى وليد الخيال ولم تتنور بنــور ذى الجلال ، تولد الظن والشك ، وتحجب عن الرب ، أما الحكمة التى تتلقى عن الأنبياء ، فانها هى الحكمة التى من أوتيها فقد أوتى خيرا كثيرا(١) .

ويقرر أن الاستدلال المنطقى والفلسفى ، وترتيب المقــدمات والبراهين ، واستخراج النتائج طريقــة مصطنعة لا تفى بكل غرض ، ولا تفيد فى كل موضوع ، ولا تساير كل سالك ، انها أسلوب ضيق محدود ، ومن اعتادها وتقيد بها وعاش عليها كان كمن كانت له رجــل من خشب لا تمشى بحــرية ، ولا تنعطف بسهولة ، وقــد ذهب قوله مثلا « ان رجــل أصــحاب الاستدلال المنطقى من خشب ، وان الرجــل الخشــبية صليبة خشبية لا مرونة فيها ولا تمكين »(٢) .

ويقول : « ان كلام هؤلاء المقلدين ، الذين يرددون دلائل الفلاسفة والمنطقيين كالببغاوات ، ويســتدلون استدلالهم ، كلام جاف ميت لا روح ولا حياة ، ولا تأثير فيه ولا جمال ، لانه يصدر عن قلب ميت ، وكيف يؤثر ويثمر كلام ميت يصدر عن ميت ؟! »(٣) .

---

(١) ص ١٧١ (من المثنوى طبع لكهنؤ) .
(٢) ص ٥٥ (من المثنوى طبع لكهنؤ) .
(٣) ص ٤٤٩ (من المثنوى طبع لكهنؤ) .

www.abulhasanalinadwi.org

العقل الايمـــانى :

ويعتقد جلال الدين ان هنالك عقلا ايمانيا ، هو نبراس ودليل لهذا العقل الجسمانى ، وهو مرشد هذا العقل « الجزئى المحدود » وقائده ، يرشده ويبصره الطريق ، كما ان هذا العقل « الجزئى المحدود » — مرشد الجسم وقائده — ، يقضى حاجاته ويخدمه فى أغراضه المادية ، ويصح أن يسمى هذا العقل الايمانى « عقل العقل » لان العقل يمشى بنوره ويبصر بعينه ، ولا يرزق هذا العقل الايمانى الا المؤمن(١) ، واذا كان هذا العقل الجسمانى قد سود الأوراق(٢) ، فالعقـــل الايمـــانى قد نور الآفاق ، وبزغ نوره على القلـــوب والأرواح(٣) .

ان العقـــل الايمانى هو خفـــير ركب الحياة ، وكصاحب شرطة البلد ، يحكم بالعدل ويقيم الموازين القسط ، ويردع الظالم وينصر المظلوم ، ويحافظ على النظام ، ويقهر النفس عن شهواتها الجامحة ونزواتها العاتية »(٤) .

أما العقل الجسمانى فانه يزين الآثام ، ويثبط عن معالى الأمور ، ويعد صاحبه الفقر ، ويهول له

(١) ص ٢٤٦ (من المثنوى) .

(٢) يشير الى أنه كون مكتبة ضخمة من الفلسفة والعلوم .

(٣) ص ٢٤٦ (من المثنوى) .

(٤) ص ٣٤٧ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

الأمر(١) ، وان العقـــل الايمانى يحل عقد العقـل الجسمانى ، وينجده فى المشاكل والأزمات ، ويفتح له الأقفال المعقدة ، ويحقق له ما اعياه أمره بكل سهولة وسرعة »(٢) .

ان الفلسفى يتحدث عن « المعقولات » التافهة التى لا قيمة لها ، لا يتجاوزها ولا يعرف غيرها ، لأن عقله لم يخرج من الباب ، ولم يعرف العالم الفسيح وما خلق الله فيه من عجائب وبدائع ، ان عقله طفـل رضيع لم يبلغ سن الرشد وان زهرة فكره مكمومة لم تتفتح »(٣) .

جهل للنفس وغفلة عن غاية الحياة :

« ان الفلسفى انما جنى عليه عقله وفكره ، وهو ذلك المسافر الشـــقى الذى ظهره الى غايته ، فكلما امعن فى السفر وجد به السير ازداد بعدا عن المنزل ، وحرم الوصول »(٤) .

« ان الفلسفى قد أحاط بعلم الكائنات ، وجمـــع ثروة هائلة من المعلومات ، ولكنه لا يزال يجهل نفسه ، انه يعرف خاصية كل « جوهر » و « عرض » ، ولكنه

(١) ص ٣٤٧ (من المثنوى) .
(٢) ص ٢٣ (من المثنوى) .
(٣) ص ٨٢ (من المثنوى) .
(٤) ص ٥٤٤ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

فى معرفة نفسه وقيمتها أجهل واضل من حمار اهله . انه يعرف قيمة كل شيء ، ولكنه لا يعرف قيمة نفسه ، مع أن روح العلم وجوهر المعرفة ولباب الحكمة أن يعرف الرجل قيمة نفسه وغاية خلقه ، وموقفه من خالقه ومن هذا العالم ومصيره بعد الممات »(١) .

دعوة الى الحكمة الايمانية :

وبعد هذا النقد المرير والعتاب الصريح ، يدعو المشتغلين بالفلسفة وعلم الكلام دعوة مخلصة الى دراسة الحكمة الايمانية والاستفادة منها ، يقول زاجرا ناصحا : « الى متى العكوف على الفلسفة اليونانية والحكمة المادية ؟ دونكم الحكمة الايمانية التى يحويها كلام الأنبياء ، وتوجد عند خلفائهم والعلماء الربانيين ! فادرسوها وفكروا فيها »(٢) .

ويقول : ان المعرفة الصحيحة لا تتأتى الا بتزكية النفس ، فاذا تجرد لوح القلب عن نقوش العلوم المرسومة وصفا ، تجلت فيه الحكمة الايمانية ، ووردت عليه علوم الأنبياء الصحيحة ، وجرت على لسانه ينابيع الحكمة ، يقول :

« جرد نفسك من صفاتك حتى تشاهد نفسك وحقيقتها ، انك ترى فى قلبك علوم الأنبياء من غير

(١) ص ٤٤٩ (من المثنوى) .

(٢) ص ٨٦ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

كتاب ومعلم ومعيد(١) ، فان المرآة كلما صفت تجلت فيها الأنوار ، واذا تفتحت نافذة نفسك دخل منهـا النور الالهى من غير واسطة ومن غير حجاب » .

المباحث الكلامية واسلوب المثنوى فيها :

ولم يقتصر جلال الدين على النقد الاجمالى للتفكير الفلسفى ومنهج علم الكلام وخضوعه للظاهر ، ولم يقتصر على التنـويه بالحواس الباطنـة والاهتمـام بالوجـدان والروح ، بل بحث فى المباحث الكلاميـة ومعضلاتهـا بأسلوب طريف بديع ، وعرض مهمـات مسائلها عرضا جميلا يقبله القلب ، ويسيغه الذوق السليم ، ويعتقد السامع والقارىء أنها شىء بدهى ، وحقيقة من الحقائق المعلومة لا تعقد فيها ولا غموض ، ولا جفاف فيها ولا عبوس ، فالمسائل التى تتعب فيها الفلسفة كأنما تصعد فى السماء ، وتقبض على الهواء ، تتراءى فى شعره كالمـاء الزلال ، وهو لا يحرص — كالفلاسفة والمتكلمين — على أن يعجز مخاطبه بالدلائل الطويلة العريضة ، والمقدمات المرصوفة المنسقة ، ويفخمها ، بل يحرص على أن يقبلها قلبه كأنه شىء محقق ، وكأنه يعبر عن خواطره وأفكاره ، لذلك كان « المثنوى » العظيم مصدر ايمان جديد واذعان مزيد فى كل عصر ، تنشرح بقراءته الصـدور الحرجة ،

(١) ص ٨٦ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

وتطمئن بدراسته العقول المضطربة ، ويجد فيه كثير من القراء حلا لمعضلاتهم ، وشفاء لدائهم ، وهو من هذه الناحية مؤسس علم جديد . واذا كان لابد من مصطلح الفلسفة فهو مؤسس فلسفة جديدة ، وهو فى ذلك امام مجتهد من ائمة الكلام ، لا يقلد ولا يتبع الا القرآن الحكيم ، ولا يستوحى الا فطرته السليمة .

وجود الفاطر الحكيم ودلائله :

فهو فى اثبات وجود الله تعالى مثلا لا يتبع الطرق الفلسفية والمناهج الكلامية المعروفة ، بل يتبع القرآن الحكيم فى الاستدلال بالمصنوع على الصانع ، والمتحرك على المحرك ، ويضرب لذلك الأمثال الحكيمة ، ويثير فى الانسان الفطرة السليمة التى تأبى وجود مصنوع من غير صانع ، ومتحرك من غير محرك ، ومتأثر من غير مؤثر ، ويقول فى بساطة وثقة :

« انك ترى قلما كاتبا ، واليد التى تحركه من ورائه مخفية ، وترى جوادا يعدو ، ولا ترى فارسا ، السهم يصيب غرضه ، والقوس غائبة عن العيون ، النفوس موجودة وبارئها ومصدر وجودها وحياتها مستور ، لا يرى بالابصار(١) ولكن اليست الحركة دليلا على المحرك ؟ اذا سمعت صريرا للهواء وخريرا للماء ألا تستدل بذلك على وجود الهواء والماء ؟

(١) ص ٣٠٥ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

اذا رأيت هـواء يهب ، والأوراق تهف ، والأغصـان تهتز ، فاعلم يقينا أن هنالك من يحرك الهواء ، فان مع كل متحرك محركا(١) . واذا عجزت أن ترى المؤثر ، فانك لا تعجز عن أن ترى الآثار ، فاستدل بها على وجود المؤثر ! واذا رأيت جسما يتحرك ويعيش ، فانك ـ ولو لم تر الروح فى حياتك ـ تبرهن به على وجود الروح التى هى مصدر الحركة والحياة فى الجسم(٢) ، وهل لوجـود الشمس دليل أكبر وأقوى من نورها الساطع وضيائها الباهر »(٣) .

وليس هذا الكون موجودا فحسب ، بل هو فى غاية النظام والانتظام ، كل شىء فيه فى محله اللائق ، وكل شىء خلق بقـدر ، ولكل شىء نظام مرسـوم لا يتجاوزه ولا يخالفه ، فالكواكب لها نظام ، والشمس والقمر لهما نظام ، وليس الهواء والسـحاب كالفيل الهائج والناقة العشواء ، لا نظام لهما ولا قيد ، بل كل خاضع لنظام ، خاضع للاحكام ، فلا تمرد ولا عصيان ، ولا فوضى ولا طغيـان ، « لا الشمس ينبغى لهـا أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » « والسحاب المسخر بين السماء والأرض » يقـول :

(١) ص ٣٠٥ (من المثنوى) .
(٢) ص ٣٠٥ (من المثنوى) .
(٣) ص ٣٠٥ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

« ان فاتك أن ترى الأمر الالهى والتدبير السماوى بعينيك ، فانظر فى نظام الكون ، فالشمس والقمر نوران مسخران يدوران ولا يتوقفان ، ويطيعان ولا يعصيان ، والكواكب لها دوائر مخصوصة ومجالات مرسومة ، والسحاب له صوت من نار ، ينظم سيره ويأمره وينهاه ، يأمره بأن يسقى الوادى الفلانى ، ويترك الوادى الفلانى ، وينبهه اذا غفا »(١) .

غاية الخلق :

ثم يقرر ان الله لم يخلق هذا الكون ، ولم يخلق هذا الخلق لفائدة تعود عليه ، وانما خلقه لفائدة الانسان نفسه ، وليبلغ كماله المطلوب ، ويستخدم قواه ويستعمل مواهبه ، يقول :

قال الأنبياء : ان الله يقول : « غايتى فى الخلق الاحسان اليهم والمن عليهم ، انما خلقتهم لينتفعوا بى وينتفعوا بخيراتى ونعمتى ، لم أخلقهم لأنتفع بهم واقضى بهم حاجة لنفسى ، انما خلقتهم افاضة للوجود ، واظهارا للسخاء والجود »(٢) .

النبوة والأنبياء :

انه يدع الأنبياء — عليهم صلوات الله وسلامه —

---

(١) ص ٥١٣ (من المثنوى) .

(٢) ص ١٥٩ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

يعرفون نفوسهم بأنفسهم ، يقول على لسانهم « نحن أطباء الروح ، تلاميذ الرحمن ، انفلقت لنا البحار ، وتفجرت لنا العيون من الاحجار ، ان أطباء الجسم يجسون النبض ، ويتعرفون المرض ، ولكننا ننظر بنور الله ، ونتكلم بوحى الله ، أولئك أطباء الغذاء والثمار ، يعرفون منافع الأغذية والأدوية ومضارها وتأثيرها فى جسم الانسان ، أما نحن فأطباء الاقوال والافعال ، والعقائد والأخلاق ، نخبر الخلق بعواقب الاعمال والاخلاق وتأثيرها فى الحياة ونتيجتها بعد الممات ، ونقول : اذا عملت كذا سعدت ونجوت ، واذا عملت كذا شقيت وهلكت ، وان الخلق الفلانى دواء نافع ، وان الخلق الفلانى سم ناقع ، ان العقيدة الفلانية مسعدة منجية ، وان العقيدة الفلانية مهلكة مردية ، ان دليل أطباء الجسم الرائحة واللون والطعم ، أما دليلنا فكلام الله واعلامه والهامه »(١) .

النبى معجزة وبرهان على نبوته :

ولا يستدل جلال الدين على صدق نبوة الأنبياء بالدلائل الخارجية والمعجزات والبراهين الكلامية ، انه يقول :

« ان كل شىء فى النبى يدل على انه نبى مرسل من الله ، انه يكون فى سيرته وخلقه وشمائله ومخايله

(١) ص ٢٥٠ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

معجزة كاملة وبرهانا صادقا على نبوته ، ولذلك لما وقع بصر عبد الله بن سلام — عالم اليهود — على وجه الرسول هتف قائلا : « والله ليس هذا بوجه كذاب » .

« ان كل من رزق العقل السليم والطبع المستقيم شعر بالاعجاز فى صوت النبى ووجهه ، ولم يحتج بعد ذلك الى دليل وبرهان » .

بين النبى وضمير الأمة مناسبة وصلة :

ثم يقرر أن بين النبى وضمير أمته مناسبة خفية وصلة روحية ، فلا يتكلم النبى بشىء الا وأسرع ضمير المستمعين الأصفياء من أمته الى تصديقه واجابته ، ويهتز لسماعه ويطرب ، لأنه صوت برىء لا يتطرق اليه الشك ، وصوت غريب لم يطرق الآذان من قبل ، وليس بينه وبين أصوات الخلق وما ألفه العالم من أدب وفلسفة وعلم مشابهة ، يقول :

اذا رفع النبى صوته بالاذان ودعا الى الله سجدت له أرواح أمته وطربت ، لأن هذا النداء لم تسمعه الآذان من قبل ، فلا يعلو هذا الصوت الغريب الا وأسرع السعداء الى اجابته قائلين : « ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا »(١) .

(١) ص ١٨٠ (الندوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول : « ان المؤمن ليس بحاجة الى دليل خارجى على صدق النبى اذا كان صحيح المزاج مستقيم الطبع ، ان دليله فى نفس المستمع ، وعلى ذلك يقوم نظام الحياة ، فهل اذا دعوت عطشان الى الماء وقلت له ان فى هذا القدح ماء ، هل يقول لك : اين الدليل ؟ وكيف أومن بدعوتك وأصدق كلامك ، وهل اذا دعت الأم الحنون طفلها الرضيع ليرتضع من ثديها ، قال الطفل ، هاتى الدليل يا أمى حتى أروى نفسى وأشبعها؟ ان وجود العطش فى نفس العطشان ووجود الجوع فى الرضيع ، ووجود الاخلاص فى الداعى لكفيل بالتصديق مغن عن كل دليل »(١) .

ويعتقد مولانا جلال الدين أن المعجزات لا توجب الايمان ؟ لأنها لقهر العدو واسكات الخصم واعجاز العنيد ، ان الذى يولد الايمان فى القلب ويخضع الانسان للمحبة والطاعة هو المجانسة والمناسبة الروحية ، ان المعجزة تقهر ، والمقهور لا ينشرح صدره ، ولا يتفتح قلبه »(٢) .

ويذكر من صفات الأنبياء وخصائصهم الالفة والاباء والغيرة ، فلابد للاستفادة منهم من الخضوع والأدب والتذلل ، يريدون حسن الاستماع وتمام الالتفاف ، فيهم عزة الملوك واباؤهم وكبرياؤهم ، شأنهم

(١) ص ١٨٠ (من المثنوى) .
(٢) ص ٥١٩ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

ان يتكلموا ويستمع الجميع ، ويأمروا ويطيع الجميع ، فمن أخل بالأدب معهم حرم الاستفادة منهم وشقى »(١) .

وقال : « كيف تستغرب هـذا الخضـوع لهم والأدب معهم وقد جاءوا من محل رفيع ، وحملوا رسالة من العلى الكبير ؟ »(٢) .

الحكمة فى المعاد وحشر الاجساد :

أما المعاد وحشر الأجسـاد ، فان جلال الدين ينظر اليه بغير النظر الذى ينظر به اليه عامة الناس ، انه ليس متشائما ينظر الى الموت بالمنظار الأسود ، انه لا يعتبره نهاية لحياة سعيدة ثمينة عزيزة ، بل بالعكس من ذلك ، يعتبره مقدمة لحياة خالدة باقية ، وعيشة سعيدة راضية ، ومقدمة لرقى دائم وازدهار مستمر ، ان العمران لا يكون الا بعد الخراب ، وان الركاز أو الكنز الثمين لا يعثر عليه ولا يستخرج الا بعد حفر الأرض واثارتها ، فاذا رأيت بيتا يهدم ويخرب ، فاعلم ان هناك تصميما جديد، وبناء جديدا ، كذلك الملك يخرب الأجسام ليعمرها ويبنيها بناء جديدا ، انما يخرب البيت ليستخرج منه الكنز الدفين ، ويعمر

---

(١) ص ٢٧١ (من المثنوى) .

(٢) ص ١١٢ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

عمارة جديدة »(١) .

ان الشجرة لا تعطى الاثمار حتى تتفتح وتسقط الأزهار ، كذلك الروح لا تقوى ولا تجد ولا تلبس كسوة جديدة قشيبة حتى يتهدم الجسم الفانى ، ويخلع العمر البالى(٢) ، ان الله — وهو الجواد المطلق — لا يسلب نعمة انعم بها الا ويعطى نعمة أكبر منها ، فلا يسلب هذه الحياة الضعيفة السقيمة ، التى لا تستحق أن تسمى الحياة الباقية ، الا ويعطى حياة أوسع منهـــا وابقى ، واجمل وافضل ، فمن راى هذا الملك الكريم يقتل احدا من مقربيه فليعلم انه يخلع عليه خلعا سنية ، ويعطيه ما لا عين رات ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر »(٣) .

ويقول فى شرح وتفصيل : « ان كل بناء يسبقه خراب وكل اثبات يسبقه محو ، ان الكاتب اذا اراد أن يكتب على لوح محـــا النقوش الســـابقة والكتابات الماضية ، واذا اراد الانسان أن يستخرج الماء آثار الأرض وحفرها ، اذا اراد الزارع أن يزرع اختـــار للفلاحة ارضا لا زرع عليها ولا نبات ، وكلما كان الفناء اتم والمحو اقوى ، كان الاثبات اكثر وابقى » .

ويقول فى بلاغة وحكمة : « ان الفقر التام اجلب

(١) ص ٢٧١ (من المثنوى) .
(٢) ص ٤٧ (من المثنوى) .
(٣) ص ١٠ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

لصفة الجود ، ان الأغنياء والاسخياء ، ترق قلوبهم ، ويجيش جودهم على الفقراء الذين لا يملكون شيئًا » .

لا داعى الى الاشفاق من الموت :

ويقول : « لماذا هذا الاشفاق من الموت ؟ ولماذا هذا الفرار من الأجل ؟ انك لم تزل فى انتقال من مرحلة الى مرحلة ، ومن عدم الى وجود ، ثم من وجود الى عدم ، ولم تزل تخلع لباسا وتلبس لباسا حتى وصلت من العناصر الأربعة الى القالب الانسانى ، فاذا تشبثت بحالة وعضضت عليها بالنواجذ ، وأصررت على أن تبقى فيها ، وابيت الانتقال منها الى حالة أخرى ، بقيت على بدايتك ، ولم تصل الى أوج الإنسانية وقمة الكمالات العلمية والروحانية . انك لم تنل البقاء الا عن طريق الفناء ، فلماذا تفر يا هذا من الفناء الجديد الذى هو مقدمة للبقاء الجديد المزيد ، ولماذا تتشبث بهذه الحياة وتلتصق بها ، مع أنها تخلف حياة لا زوال لها ولا خوف فيها ولا حزن ؟! »(١) .

ويقول : جربت ان الموت فى هذه الحياة ، فاذا فارق الانسان هذه الحياة نال الحياة الخالدة التى لا موت فيها »(٢) .

---

(١) ص ٤١٠ (من المثنوى) .

(٢) ص ٢٧٦ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول : « ان هنالك فرقا بين موت وموت ، فالعارفون لا يقاس موتهم على موت الجهلاء والعامة ، ان العارفين لا يتوجعون ولا يحزنون لمفارقتهم هذه الدنيا الفانية ، ويستقبلون الموت مسرورين فرحين ، ان الموت فى حقهم نفحة حياة ، ورسالة فوز ونجاة ، لقد كانت الريح التى أرسلها الله على امة هود لفحة وجحيما على الكافرين ، ونفحة ونعيما على المؤمنين ، كذلك الموت للكفار سموم وبلاء ، وحرمان وشقاء ، وللمؤمنين نسيم عليل ، وهواء بليل ، وكوثر وسلسبيل »(١) .

« فاما ان كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة ونعيم ، واما ان كان من أصحاب اليمين ، فسلام لك من اصحاب اليمين ، واما ان كان من المكذبين الضالين ، فنزل من حميم ، وتصلية جحيم »(٢) .

الجبر والاختيار :

ان الجبر والاختيار من المسائل المهمة العويصة التى شغلت حيزا كبيرا من كتب علم الكلام ، وذهبت فرقة الى نفى الاختيار المطلق واثبات الجبر المحض . وسميت فى تاريخ الملل والنحل بالجبرية ، يرد عليها جلال الدين ردا واضحا معقولا ، يقول :

(١) ص ٢٥ المرجع السابق .
(٢) الواقعة ٩٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

« لو كان الجبر ، لما توجه الأمر والنهى الى الانسان ، وما كلف الانسان بالشرائع والاحكام ، فهل سمع انسان يأمر حجرا وينهاه » ويقول : « ان القرآن كله أمر ونهى ووعيد ، ولم نسمع عاقلا يأمر الرخام أو ينهى الحديد »(١) .

عقيدة الاختيار فى الانسان والحيوان :

يقول ان الانسان مفطور على عقيدة الاختيار ، وهو يمثل هذه العقيدة ويطبقها فى حياته اليومية ، ويقرر بعمله وسلوكه الاختيار ، وينكر الجبر ، فلا يعاقب الجماد ، ولا يغضب على الحجر والخشب والسيل والنار والريح ، مهما لحقه الأذى والعنت من هذه الأشياء ، ويتساءل : اذا سقط عليك جذع من السقف وجرحك جرحا شديدا وأدماك ، فهل يثور غضبك على هذا الجذع ؟ واذا عاتبته ، وقلت له : لماذا كسرت يدى او أدميت راسى ؟ كذلك اذا جاء سيل او فيضان وفاض بأثاثك ومتاعك ، او هاجت الريح وطارت بعمامتك ، اشتعلت غضبا على السيل أو الريح ، وتصديت لهما بالعتاب او العقاب ؟

اما اذا تعرض انسان لاهانتك أو هتك عرضك ، ثرت عليه ، وعاقبته عقابا شديدا ، فدل ذلك على انك

(١) ص ٤٦١ - ٤٧٢ (من المثنوى) .

(٢) ص ٤٦٣ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

تميز بين المجبور والمختار ، وتعتقد أن الانسان صاحب اختيار وارادة فتحاسبه وتعاتبه وتعاقبه وتشكوه وتلومه ولا تقبل له عذرا ، لأنه مخير ليس بمجبور»(١) .

ولا يقتصر جلال الدين على ذلك ، بل يقرر أن الحيوان يعرف ذلك ، ويميز بين المجبور والمختار ، وتهديه الى ذلك فطرته ، فاذا ضربت كلبا بحجر هجم عليك وأراد أن يعضك ، ولم يقبل الى الحجر وينتقم منه ، كذلك اذا ضرب السائق بعيرا هاج البعير ، ولم يثر على الهراوة التى ضرب بها ، انما يثور على الجمال المسرف فى ضربه ، فعار عليك أيها الانسان العاقل أن تنصب الجبر الى الانسان ، ويفوقك الحيوان غير العاقل فى فهم هذه الحقيقة وادراكها »(٢) .

ويقول : « ان الانسان لا يجهل هذه الحقيقة ، لكنه يتعامى عنها لأجل مصلحته وهواه وشهوته ، شأن الصائم الذى يتحقق طلوع الصبح الصادق ، لكنه يصرف وجهه عن النور ويغلق عليه الباب فيستمر فى التسحر والأكل والشرب(٣) .

العلة والمعلول :

وقعت فرق اسلامية فى مسألة الأسباب والعلل

---

(١) ص ٤٦٣ (من المثنوى) .
(٢) ص ٤٦٣ (من المثنوى) .
(٣) نفس المصدر .

www.abulhasanalinadwi.org

فى افراط وتفريط ، فمذهب الحكماء أن العالم خاضع خضوعا تاما لسلسلة العلة والمعلول ، والمعلول لا يتخلف أبدا عن العلة ، والمسبب لا ينفك حينا عن السبب ، ويميل المعتزلة الى هذا الراى فاذا قرروا علة الشيء ، او اعتقدوا خاصية وتأثيرا فى شيء ، راوا ذلك ضربة لازب لا يقع خلافه الا فى نادر النادر ، ولذلك تراهم يستبعدون وقوع شيء خلاف خاصته ، ووقوع حادثة من غير سبب ، ويجتهدون فى تعليل ما ثبت فى القرآن والحديث ، وتواتر نقله من المعجزات والخوارق ، وردها الى الأسباب العادية والعلل الطبيعية ، فاذا أخفقوا فى ذلك ـ وهو نادر جدا ـ اعترفوا بالمعجزة مضطرين .

والأشاعرة بالعكس من ذلك على طرف آخر ، فيقررون أنه لا شيء علة لشيء آخر ، ولا خاصة فى شيء ولا تأثير ، وقد اضر هذا التطرف أيضا واحدثه فوضى ، واستطاع كل أحد أن يقول ما شاء وينكر ما شاء ، وتطرق كثير من الناس من هذا الى انكار الأسباب ورفضها ، والتعطل والبطالة .

الأسباب حقيقة ، ولكن خالقها لم يعزل ولم يعطل :

والشيخ جلال الدين مذهبه وسط بين الطرفين ، فهو يقرر ان الأسباب حقيقة ، وان العلل والمعلولات والأسباب والمسببات مربوطة بعضها ببعض ، ليس

www.abulhasanalinadwi.org

من الانصاف ولا من المعقول انكارها ، ولا يمكن ذلك ، وسنة الله السائرة أن يخضع المسببات لأسبابها ، ويظهر من الأشياء خواصها ، ولكن خرق العادة ممكن وواقع ، فان الذى خلق الأسباب وبرأ العلل لم يعزل بعد خلقه الأسباب من قدرته وفعله ، انه لا يزال رب الأسباب والقادر المطلق ، فاذا شاء ترك المسببات مرتبطة بأسبابها ، خاضعة لنواميسها وعللها ، وذلك هو الغالب الأكثر ، واذا شاء جردها من أسبابها وخلقها من غير سبب أو خلاف سبب ، وهذا هو الخارق للعادة . يقول :

« ان عامة الأحوال والحوادث على السنة الالهية الجارية ، يخرق هذه العادة ويخالف هذه السنة بقدرته ومشيئته أحيانا لانبيائه وأوليائه ، فاذا رأينا الأسباب مؤثرة عاملة فى غالب الاحوال ، فلا ينبغى لنا أن نعتقد أن القدرة الالهية عاجزة مشلولة ، وأن الإرادة الالهية معطلة معزولة ، لا يستطيع عزل المسببات عن أسبابها ، وفك المعلولات عن عللها »(١) .

الأسباب الباطنة وسبب الأسباب :

وليست الأسباب مقصورة على ما عرفناه وجربناه وعلى ما نشاهده ونعرفه ، بل هنالك أسباب خفية مستورة عن عيوننا ، وهذه الأسباب الباطنة سبب

(١) ص ٤٢٧ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

ومحرك للاسباب الظاهرة ، كما أن هـذه الأسباب الظاهرة سبب ومحرك لمسبباتها تحرك هذه الأسباب الظاهرة وتشـغلها ، وقد توقفها وتعطلها ، ويدرك الانسان بسهولة الأسـباب الظاهرة ، ولكن كثيرا ما يجهل السبب الباطن ، فيلاحظ مثلا اذا قدح الزند بالزند اشتعلت النار ، فيدرك أن القدح سبب للشعلة ، ولكن لا يعرف السبب الباطن »(١) .

وسبب الأسـباب الذى تنتهى اليه ، والسبب الحقيقى الأصيل ، هو الامر الالهى والارادة الالهية التى هي فوق كل سبب ، وأصل كل حادث « انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون » .

والأنبياء يعرفون الأسباب الباطنة ، ويرونها كما تعرف الأسباب الظاهرة ونراها ، ثم هم يؤمنون بأن السبب الحقيقى الذى تنتهى اليه جميـع الأسـباب والعلل ، والذى هو مصدر كل حادث وعمل انما هى الارادة الالهية .

انهم يشاهدون هذه الارادة الالهية تتصرف فى الكائنات ، وتتحكم فى هذا العالم ، وتطو كل ارادة وكل قانون ، وهى التى يخضع لها نظام الكون ، وهى التى تخلق فى الأشياء خاصيتها ، ثم تجردها منها اذا شاءت ، وتغير طبائع الأشياء وفطرها ، فتجعل من النار بردا وسلاما .

(١) ص ٢٥ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

ويرون الأسباب الظاهرة ضعيفة حقيرة تافهة أمام الأسباب الباطنة ثم يرون الأسباب الباطنة ضعيفة حقيرة تافهة أمام السبب الحقيقي « المشيئة الالهية » « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ، وليكون من الموقنين » .

وثنية الأسباب ومحاربة الأنبياء لها :

ويبالغ الناس قصيرو النظر — بتأثير الجاهلية والمادية — في تقديس الأسباب ، والايمان بقوتها وتأثيرها ، والتمسك بها ، والعكوف عليها ، ويتخذون الأسباب أربابا من دون الله ، ويتغافلون عن مسبب الأسباب ورب الارباب ، ويعكفون على عبادة الظواهر والمظاهر ، هنالك يقوم الأنبياء يحاربون هذه الوثنية — وثنية الأسباب — ويدعون الناس من الأسباب الى المسبب ، ويجرى الله على أيديهم — تنبيها وتعليما — حوادث تنتقض بها قوانين الطبيعة ، ويظهر بها ضعف الأسباب وعجزها ، وتتجلى بها قدرة الله المطلقة ، وارادته الحرة ، ومشيئته القاهرة ، وانه يملك زمام الكون ، وبيده ملكوت كل شيء ، وهو قادر على كل شيء غير مفتقر الى الأسباب وغير متقيد بها ، فتنفلق لهم البحار ، وتتفجر لهم الأنهار من غير الأسباب العادية ، وتنشأ لهم الزروع والحقول من غير زراعة ، ويتحول الرمل دقيقا ، والصوف حريرا ، وتنتصر الفئة

www.abulhasanalinadwi.org

القليلة على الفئة الكبيرة ، ويملك الفقير الضعيف ، ويهلك الغنى القوى :

« وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ، وما كانوا يعرشون »(١) « كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوما آخرين »(٢) .

* * *

لا رهبانية ولا بطالة :

ولكنه لا يغلو فى ذلك غلو كثير من المتصوفة ، وغلو الأشـــاعرة ، فينكر وجود الأسـباب ويدعو الى رفضها والتجرد منها ، والتوكل المفضى الى البطالة والتعطل والرهبانية ، بل يقول :

« ان السنة الجارية والعادة الغالبة ، هى وجود المسبب من السبب حتى يعرف الطالب أهمية السعى والجهاد ، ويأتى البيوت من أبوابها ، ويطلب الأشياء من معدنها »(٣) .

بل هو يحارب البطـــالة والتعطل والرهبانيـــة والتوكل السلبى الذى لجأ اليه العاجزون فى القرون

(١) الاعراف .

(٢) الدخان .

(٣) ص ٤٢ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

الأخيرة ، ويدعو دعوة قوية الى الكدح والجهاد ، والأخذ بأسباب المعاش ، ويدعو الى الحياة الاجتماعية ، يقول :

« لو لم تكن الحياة الاجتماعية مطلوبة ومفضلة فى الاسلام لم يكن الأمر بالجمعة والجماعة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »(١) .

وكان التوكل الاسلامى الممدوح عنده هو الاستعداد والأخذ بالاحتياط اللازم ، ثم التوكل على الله ، وتفسير قول الرسول صلى الله عليه وسلم « اعقلها وتوكل على الله » .

دعوة الى الكدح والجهاد :

يحث جلال الدين على الكسب والجهد وقد ذكر مناظرة بين الحيوانات فى موضوع التوكل والعمل ، فذكر خير دلائل وجوب العمل والسعى على لسان الأسد ، زعيم العاملين المجاهدين فى الحيوانات — فقال :

« ان الله وهب الانسان الأعضاء والجوارح ، ومواهب وطاقات ، فدل ذلك على انه يريد منه السعى والجهد ، كما اذا منح سيد عبده فأسا أو معولا ، فالظاهر انه يريد ان يحفر الأرض او يشق صخرة ، نطق بذلك او لم ينطق ، كذلك لما اعطانا الله هذه

(١) ص ٥٠٣ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

الأيدى العاملة ، والسواعد القوية ، والأقدام السائرة ، والطاقات الغنية ، فانه يريد منا — بداهة — أن نشتغل ونستخدم قوانا ، ونكدح فى الحياة ونجاهد فيها ، ونكسب رزقنا بقوة اليمين ، وعرق الجبين ، فالتوكل الصحيح أن لا نقصر فى جهدنا ، ثم نعتمد فى نتيجة السعى على الله تعالى ، فالسعى شكر لنعمة القدرة ، والجبر كفران لهذه النعمة . والله يقول :

« لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابى لشديد » .

فاكسب وصب عرق الجبين ، ثم توكل على الرزاق ذى القوة المتين »(١) .

ما هى الدنيا المذمومة :

ولا يقتصر جلال الدين على ذلك ، بل يزيد عليه ويقول على لسان الأسد : « ان السعى والكسب سنة الأنبياء والمرسلين ، وان الدنيا ليست الذهب والفضة والأهل والاولاد ، كما يعتقد بعض غلاة الصوفية — ان الدنيا المذمومة الغفلة عن الله ، أما قال الرسول — صلى الله عليه وسلم — « نعم المال الصالح للعبد الصالح »(٢) .

---

(١) ص ٢٧ (من المثنوى) .

(٢) ص ٣٨ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

ان تعطل الصالحين مهد لسيادة الفساق والظالمين :

بل انه يقرر ، أن تعطل الصالحين وتعودهم عن الجهاد ، وتوكلهم العجمى الذى لا يتفق وتعاليم الاسلام ، أفضى الى سيادة الفساق والظالمين وحكومة السفهاء والجاهلين ، الذين سفكوا دماء الأبرياء ، وقتلوا العلماء والصلحاء ، وجاروا فى الحكم ، وخانوا فى أموال الناس(١) ، وتسلط فى عهدهم الحمقى وتوارى الحكماء والعقلاء ، ووسد الأمر الى غير أهله »(٢) .

(١) ص ٣٣١ (من المثنوى) .
(٢) ص ٣٣٥ (من المثنوى) .

www.abulhasanalinadwi.org

مولانا جلال الدين الرومى
داع الى الحب والعاطفة ، واحترام الانسان والانسانية

عصر الرومى :

قد هبت عاصفة عقلية جامحة فى القرن السابع ، بعثها علم الكلام الذى كان الشغل الشاغل للمسلمين فى القرون الأخيرة ، وكانت هذه العاصفة عاتية شديدة ، انطفأت بها كوانين القلوب رمجامرها . واذا كانت لا تزال بقية من جمرات الحب والعاطفة ، فقد كانت كامنة فى الرماد مغلوبة على أمرها . وقد اصبح المسلمون بعد ما كانوا شعلة من الحياة وجذوة من النار ، ركاما بشريا او فحما حجريا ، بعد عهده بالنار والحرارة .

فى هذا الجو الهادىء الخامد هتف مولانا جلال الدين الرومى بالحب والعاطفة ، حتى هب العالم الاسلامى من نومه العميق ، ودبت فيه الحياة .

الدعوة الى الحب :

لقد دعا الشيخ الى الحب دعوة سافرة ، وذكر عجائبه وتصرفاته فى بسط وتفصيل فيقول :

« ان الحب يحول المر حلوا ، والتراب تبرا ،

www.abulhasanalinadwi.org

والكدر صفاء ، والألم شفاء ، والسجن روضة ، والسقم نعمة ، والقهر رحمة ، وهو الذى يلين الحديد، ويذيب الحجر ، ويبعث الميت وينفخ فيه الحياة ، ويسود العبد » .

« ان هذا الحب هو الجناح الذى يطير به الانسان المسادى الثقيل فى الاجواء ، ويصل من السمك الى السماك . ومن الثرى الى الثريا .

اذا سرى هذا الحب فى الجبال الراسيات ، ترنحت ورقصت طربا :

« فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا » :

ويذكر ان الحب غنى ابى ، لا يحتفل بالملك والسلطان ، من ذاقه مرة لم يسغ شرابا ، يقول : « ان الحب غنى عن العالمين ، ان كان الشغف بالمحبوب ونفى ما سواه جنونا فهو سيد المجانين .

انه ملك الملوك تخضع له اسرة الملوك وتيجانهم، ويخدمه الملوك كالعبيد ، يقول ان الحب كامن كالنار ، ولكن الحيرة بادية ، متواضع ولكن نفوس الملوك الذين يملكون النفوس له خاشعة » .

واذا ذكر الرومى هذا الفقر الجسور والحب الغيور ، اخذته نشوة ، ونادى بأعلى صوته « بارك الله لعبيد المادة وعباد الجسم فى ملكهم واموالهم ! لا ننازعهم فى شىء ، اما نحن ، فاسارى دولة الحب

www.abulhasanalinadwi.org

التى لا تزول ولا تحول » .

« ان جميع المرضى يتمنون البرء من سقمهم ، الا ان مرضى الحب يستزيدون المرض ، ويحبون أن يضاعف فى ألمهم وحنينهم ، لم ار شرابا احلى من هذا السم ، ولم ار صحة أفضل من هذه العلة » .

« انها علة ولكنها علة تخلص من كل علة ، فاذا اصيب بها انسان لم يصب بمرض قط ، انها صحة الروح ، بل روح الصحة ، يتمنى اصحاب النعيم أن يشتروها بنعيمهم ورخائهم ، كأنه يعارض الشاعر العربى فى قوله :

ولى كبد مقروحة من يبيعنى
بها كبدا ليست بذات قروح
اباها على الناس ، لا يشترونها
ومن يشترى ذا علة بصحيح

فلو عرف هذا الرجل الذى كان ينادى على كبده قيمة هذه الكبد المقروحة ، لما تنزل الى بيعها والتخلى عنها ، ولو عرف الناس قيمتها لاشتروها بملك الدنيا وعافية الأجسام ، فما قيمة كبد لم تقرح ؟ انها مضغة لحم وقطعة حجر !

ان هذا الحب البرىء السامى يصل بالانسان الى حيث لا توصله الطاعات والمجاهدات ، « لم أر طاعة افضل من هذا الالم عند من يسميه اثما ان الأعوام التى تنقضى بغيره لا تساوى ساعة من ساعات

www.abulhasanalinadwi.org

الحب » .

ان الـــدم الذى يسيل فى ســـبيله لا يشك فى طهارته ، ان شهيد الحب لا يحتاج الى الغسل « ان دماء الشهداء أفضل من الماء الطهور ، يالها من خطيئة ان كانت خطيئة » ! يقول : « ان المحبين الذين بذلوا مهجهم وأحرقوا قلوبهم لا تنفذ عليهم القوانين العامة ، ولا يخضعون للنظم السائدة » .

ويضرب الرومى لذلك مثلا بليغا فيقول : « ان القرية التى خربت لإتفرض عليها الجبايات والضرائب» .

ويقارن بين الحب البرىء والعقل الشاطر فيقول: « ان الحب تراث ابينا آدم ، أما الدهاء فهو بضاعة الشيطان ، ان الداهية الحكيم يعتمد على نفســـه وعقله ، أما الحب فتفويض وتسليم ، ان العقل سباحة قد يصل بها الانسان الى الشاطىء وقد يغرق ، وان الحب سفينة نوح لا خوف على ركابها من الغرق » .

هذا ، وبحر الحياة هائج ليس الســـباحة فيه بالخطب اليسير ، فخير للانسان ان يأوى الى سفينة مأمونة من الغرق ، وهى ســـفينة الايمان والحب ، يقـــول : لقد راينا كثيرا ممن يحسنون الســـباحة قد غرقوا فى هذا البحر اللجى ولكنا ما راينا سفينة الايمان والحب تغرق » .

ثم انه يفضل حيرة المحبين على حكمة الحكماء الباحثين ، ويحث على الحرص عليها والتنافس فيها ،

www.abulhasanalinadwi.org

لأن الحكمة ظن وقياس ، والحيرة مشاهدة وعرفان » .

انه يقول : « ليس لكل أحد أن يكون محبوبا ، فانه يحتاج الى صفات وفضائل لا يرزقها كل انسان ، ولكن لكل أحد أن يأخذ نصيبه فى الحب وينعم به « فاذا فاتك ايها القارىء العزيز أن تكون محبوبا ، فلا يفتك يا عزيزى أن تكون محبا ، ان لم يكن من حظك أن تكون يوسف ، فمن يمنعك من أن تكون يعقوب ؟ وما الذى يحول بينك وبين أن تكون صادق الحب ، دائم الحنين ؟ » .

ويزيد الشيخ على ذلك « ان لذة المحب لا تعدلها صولة المحبوب ، فاذا عرف المحبوبون ما ينعم به العشاق المتيمون ، والمحبون المخلصون ، لتمنوا مكانهم ، وخرجوا من صف المحبوبين السعداء الى صف المحبين البؤساء » .

الى من يوجه هذا الحب ؟

ولكن الى من يوجه هذا الحب الذى هو نور الحياة وقيمة الانسان ؟ « ان الحب خالد لا يجدر الا بالخالد . انه لا يجمل بمن كتب له الفناء والأفول . انه حق الحى ، الذى لا يموت ، الذى يفيض الحياة على كل موجود » . ويستدل الرومى على ذلك بقصة سيدنا ابراهيم ويتمثل بقوله « لا أحب الآفلين » .

« ان هذا الحب يجرى من صاحبه مجرى الدم ،

www.abulhasanalinadwi.org

ان وضع فى محله وصادف أهله ، فانه شمس لا ينتابها الافول ، وزهرة ناضرة لا يعتريها الذبول . عليك بهذا الحب السرمدى الذى يبقى ، ويفنى كل شىء ، الذى يدور عليك بكؤوسه التى تروى ظمأك ! عليك بهـــذا الحب الذى ساد به الأنبياء وحكموا ! » .

لا داعى الى اليـــاس :

ولكن ليس للمحب الطموح ان يشكو قصـــوره ويحتقر نفسه ، متعللا بســـمو المحبوب وعلو مكانته وغناه عن العالمين ، فما للتراب ورب الارباب ؟! .

ان المحبوب الحقيقى هو الذى يحب أن يحب ، ويجذب اليه من انجذب « الله يجتبى اليه من يشاء ، ويهدى اليه من ينيب » يقول مشجعا : « لا تقل لا سبيل الى ذلك الملك الجليل ، فأنا عبد ذليل ، ان الملك كريم ، يدعو عبده ويسهل له السبيل » .

ويعود فيتغنى بهـــذا الحب ويقرظه فى سرور ونشوة ، ويقول : « انه فيما يبدو للناظر علة علاجها عسير ، وصاحبها فى تعب وعذاب ، ولكنه اذا احتملها وثابر عليها ، وصل الى المعرفة الحقيقية الأبدية » .

« ان الحب منشؤه ، انكسار القلب ، وجرح الفؤاد ، انه علة لا تشبهها علة ، ان علة المحب تختلف عن كل علة . ان الحب اصطرلاب الأسرار الالهية » .

ثم يذكر ان هذه العلة ، وان كانت فى ذات نفسها

www.abulhasanalinadwi.org

علة ، ولكنها شـــفاء للاسقام النفســـانية والأمراض الخلقية . ان الامراض التى أعيت الأطباء ، وتعذر منها الشفاء ، وقطع منهـا المصلحون الرجاء ، تبرأ وتزول بلفتة من هذا الحب ، فاذا برىء منها السقيم الذى يئس من صحته ، هتف فى سرور وطرب « حياك الله أيها الحب المضنى ! يا طبيب علتى وسقمى ! يا دواء نخوتى وكبرى ! ياطبيبى النطاسى ! يامداوى الآسى!».

هذا ، لأن الحب شعلة اذا التهبت أحرقت كل ما سواه ، فلا كبر ، ولا خيلاء ، ولا جبن ولا خوف ، ولا حزن ولا حسد ولا بخل ، ولا عيب من العيـــوب النفسية ، ان موجة الحب تجرف الحشيش ، وتسرى فى النفس سريان النار فى الهشيم . « ان الحب شعلة تحرق كل ما سوى المحبوب » ان التوحيد سيف اذا سله صاحبه قطع كل ما عـــدا الله ، فحياك الله ! وحياك أيها الحب الذى لا يحتمل الشرك ! .

ويمسك مولانا بعد هذا النفس الطويل فى مدح الحب ووصفه ، ويقول : « ان حكاية الحب لا تنتهى ، وتفنى الدنيا ولا تنقضى عجائبه ، لأن الدنيا لها نهاية وغاية ، والحب وصف من لا يفنى ولا يموت » .

عـــالم القلب :

ولكن لا سبيل الى هـــذا الحب الا بالقلب الحى الفائض بالحياة والحرارة . وقد طغت الناحية العقلية

www.abulhasanalinadwi.org

فى عصره كما قدمنا ، وتخطت حدودها ، وتضخمت على حساب القلب والعاطفة ، فمهما استنارت العقول فقد بردت القلوب وفقدت حياتها وحرارتها ، واصبحت المعدة قطبا تدور حوله رحى الحياة . وقد أثار الرومى حديث القلب ومآله من مكانة وكرامة فى حياة الانسان ، وما تحويه من عجائب وكنوز ، وذكر أن الانسان يحمل فى جسمه روضة ، اكلها دائم وربيعها قائم ، وانه يحمل فى جسمه الصغير عالما أوسع من هذا العالم المادى ، لا يخاف عليه من عدو ، ولا يطرقه لص .

« ان القلب بلد عامر مأمون ، وحصن محكم مصون ، روضة مباركة لا ينفد نعيمها ، ولا ينضب معينها ، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها » .

وذكر ان حدائق العالم لا تطول حياتها ، ولا تأمن الآفات والعاهات ، ولكن نخلة القلب دائمة النضارة والثمار « ان الحدائق تبطىء فى النمـاء وتسرع فى الفناء » أما القلب فسريع النمـو ، بطىء الزوال ، « ان روضة الجسم لا تلبث أن تصبح صريما هشيما ، فينادى صـاحبها : واحسرتاه ! أما روضـة القلب ، فـلا تزال مخضرة مثمـرة ، فينـادى صـاحبها : وافرحتاه ! » .

فالذى يحاول أن يحافظ على صحته وشبابه ، ويبقى شابا قويا ، لا تتحقق أمنيتـه ، والذى يعتنى بقلبه ويحسن تربيته يبقى شـاب الروح ، نشـيط

www.abulhasanalinadwi.org

الجسم ، قرير العين ، ناعم البال ، جذلان مسرورا . (عليك بالقلب حتى تدوم شابا ، تتجلى فى وجهك الأنوار فيشرق) .

(عليك بالقلب حتى تبقى زاخر الحيوية والنضارة مثل الصهباء ، متهللا كزهرة ناضرة ووردة باسمة) .

ولكن لا تغرنك كلمة (القلب) فليس هذه القطعة التى تخفق فى صدرك ، وتتجمع فيها الشهوات والمطامع ، ليس القلب هو الذى لم يذق طعم الحب ، ولم يعرف معنى اليقين ، ولا يملك شيئا من الشوق الذى لا تتفتح زهرته ولا يشرق ليله ، فليس هو القلب ، انما هو قطعة من حجر او خشب .

« انه ضيق مظلم مثل قلب اليهود ، لا نصيب له من حب الملك الودود ، انه لا يشرق ولا ينير ، ولا ينشرح ولا يتسع » .

انه ليس بين هذا القلب الميت وبين القلوب الحية الا الاشتراك فى اللفظ ، والشبه فى الجسم ، كما أن الماء الذى يجرى فى العيون الصافية والأنهار الجارية يسمى ماء ، والذى يختلط بالطين والوحل ويرى فى المستنقعات يسمى ماء كذلك ، ولكن الأول يروى الظمأ وينقى الثوب ، والثانى تغسل منه اليد . هذا هو الفرق بين القلب والقلب . ان قلوب الأنبياء والأولياء لتعلو على السماء . أما قلوب أشباه بنى آدم ، فهى قلوب أشباه القلوب ، وليست بقلوب ، فاذا

www.abulhasanalinadwi.org

قلت (قلبى) فانظر ماذا تقول ! .

(تقول : قلبى ! قلبى ! فهل تعرف ان القلب من أمانات السماء ؟ ان الحمأ لا شك يحمل ماء ، ولكنك لا ترضى أن تغسل به يدك ، لأنه ، اذا كان ماء فهو ماء يغلب عليه الطين والوحل ، فلا تسم ما يخفق فى صدرك (القلب) ان القلب الذى هو أعلى من السماوات العلى ، هو قلب الأنبياء والأصفياء) .

ولكنه يسلى قارئه ولا يريد أن يكسر قلبه ويثبط همته ، فيقول (ان سلعتك التى لا يرغب فيها مشتر قد اشتراها الكريم تكرما وتفضلا ، انه لا يرفض قلبا من القلوب ، لأنه لا يقصد به الربح) .

ثم ينصح قارئه بالانطلاق من هذا القفص الذهبى الذى يسمى « المعدة » والطيران فى اجواء القلب الفسيحة ، والاطلاع على عجائب خلق الله ، والتنعم بلذة الروح ، يقول : (ان المعدة وعبادة المادة هو الحجاب الصفيق بينك وبين ربك ، فاذا رفعت هذا الستر لم يكن بينك وبين ربك حجاب (تخط حدود المعدة ، وتقدم الى قلبك ، تأتك تحيات الرحمن من غير حجاب) .

كرامة الانسان وشرفه :

لقد تواضعت الحكومات الشخصية المستبدة ، والفلسفات الخاطئة ، والاديان المحرفة ، على

www.abulhasanalinadwi.org

الاستهانة بقيمة الانسان والحط من قدره وشرفه ، وقد نشأ — بتأثير الحروب الطاحنة التى كانت لا تكاد تنقطع ، وفساد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية — مقت شديد فى الناس للحياة ، وتبرم من امتدادها واستمرارها ، وقنوط من المستقبل ، وشعور عميق بالمهانة أو ما يسمى اليوم (بمركب النقص) وأصبح الانسان حقيرا فى عينه .

وجاء بعض المتصوفين العجم ، فدعوا دعوة متحمسة الى الفناء الذى تمثله الجملة المأثورة فى الأدب الصوفى « موتوا قبل أن تموتوا » وغلوا فى انكار الذات حتى اصبح الاعتداد بالنفس وحب الذات الذى يتوقف عليه الكفاح والحركة والنشاط ، جريمة خلقية ، وحجر عثرة فى سبيل الكمال الروحى . وقد أسرف الدعاة والمؤلفون فى الحث على اكتساب الصفات الملكية ، والانسلاخ من اللوازم البشرية ، حتى أصبح الانسان يستنكف من انسانيته ، وأصبح يعتقد أن رقيه فى الثورة على الانسانية ، لا فى الاحتفاظ بانسانيته ، وانه كلما كان أبعد من الانسانية وأشبه بالملائكة كان أقرب الى السعادة والكمال .

ونشأ — بتأثير هذه الأفكار والفلسفات ، وانحلال المجتمع ، وجور الحكومات — أدب متشائم ، وشعر متشائم ، ينظر الى العالم والى الحياة بالمنظار الأسود ، يدعو الى الفرار من الحياة والتشاؤم من الناس ،

www.abulhasanalinadwi.org

والنقمة على الآباء فى جنايتهم على ذريتهم ، كما فعل (أبو العلاء المعرى) فى عصره ، وكانت نتيجة هـذه العوامل القوية الطبيعية أن فقد الناس عامة الثقـة بنفوسهم ، والأمل فى مستقبلهم ، والرغبة فى حياتهم ، وأصبح الانسان فى هذا المجتمع المتبرم الضجر كاسف البـال منكسر الخاطر ، ضـعيف الارادة ، محطم الأعصاب ، قد يحسد الحيوانات فى حريتها ، والجمادات فى سـلامتها وهدوئها ، لا يعرف لنفسـه قيمة ، ولا لانسانيته شرفا ، ولا يعرف ذلك الجو الفسيح الذى هيأه الله لطيرانه وتحليقه ، **ولا يعرف تلك الكنوز** البديعة ، والقوى الجبارة ، والمواهب العظيمة التى أودعها الله فى باطنه ، ولا يعرف انه قد خلق ليكون « خليفـة رب العالمين فى هـذا العالم الفسيح » ، و « وصيا عليه » ، وأخضع له هذا الكون ، وما كان سجود الملائكة لأول بشر الا اشارة لهذا الخضوع ، فانهم هم الذين يتصرفون فى هذا الكون بأمر الله ، ويبلغون رسالاته ، فاذا خضعوا فقد خضع له الكون بالأولى .

فى هذا المجتمع الثائر على الانسانية الذى كفر بالانسان وقيمته ومركزه فى هذا العالم ، قام **مولانا « جلال الدين الرومى »** يمثـل الفكرة الاسـلامية الصحيحة فى شعره الرنان ، ويثير كرامة الانسـان المطمورة فى انقاض الأدب المتشائم ، والشعر المتراجع

www.abulhasanalinadwi.org

المنهزم ، وبدأ يتغنى بكرامة الانسان وفضل الانسانية فى حماسة وايمان وبلاغة ، حتى دب فى المجتمع دبيب الحياة ، وأصبح الانسان يعرف شرفه وكرامته ، وترنح بهذا الرجز والحداء القوى (الأدب الاسلامى) كله ، ورددده الشعراء ، وضربوا على وتره ، وانطلقت فى عالم التصوف موجة جديدة تستحق أن تسمى « **الاعتزاز بالانسانية** » .

يذكر جلال الدين الرومى قراء شعره وتلاميذه ، ان الله سبحانه وتعالى قد خص الانسان بأحسن تقويم ، فقد قال : « **لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم** » وان هذا اللباس الفضفاض قد فصل على قامة الانسان ، فلا يطابق كائنا آخر . ويحث قارئه على دراسة سورة (التين) والتدبر فى معانيها ، وأن يحسب لكلمة (أحسن تقويم) حسابا خاصا ، فانها ميزة للانسان لا يشاركه فيها غيره .

ثم يزيد على ذلك ، ويرجع الى سورة (الاسراء) ويذكر بقوله تعالى « **ولقد كرمنا بنى آدم** » ويقول للقارىء : (هل وجه هذا الخطاب الكريم وهذا الاسلوب من التكريم الى السموات والأرض أو الى الجبال ؟ انه لم يوجه الا الى هذا الانسان الذى يستهين بقيمته ، ويجهل مكانته . ان الله قد توجك — أيها الغافل — بتاج الكرامة ، وخصك بقوله : « **ولقد كرمنا** » وحلى جيدك بالمنحة الخالصة فقال :

www.abulhasanalinadwi.org

« أعطيناك » كلمة لم يقلها لأحد .

انه يقول : ان الانسان خلاصة هذا الكون ، ومجموع أوصاف العالم (يتمثل فى هذا الجسم الصغير ماشت فى العالم من خيرات وكنوز ، وبدائع وعجائب ، انه ذرة حقيرة انعكست فيها الشمس ، فاذا طلعت لم يبد كوكب . انه قطرة صغيرة انصب فيهـــا بحر العلم ، وثلاثة أذرع من الجسم انطوى فيها العالم « يقول ان الانسان غاية هـــذا الخلق ، لأجله خلق العالم ، وهو القطب الذى يدور حوله رحى الـكون ، تحسده الكائنات ، وقد فرض الله طاعته على جميع الموجودات : « ان كل ما فى هذا العالم من جمـــال وكمال انما خلق لأجلك ويطوف حولك ، أنت الذى يحسده المقربون ، لست فى حاجة الى جمال مستعار ، فأنت جمال الدنيا ، وواسطة العقد ، وبيت القصيد ، الانسان جوهر ، والفلك عرض ، كل ما عداك فرع وظل ، أنت الغرض ، أن خدمتك مفروضة على جميع الكائنات ، ان عارا على الجوهر أن يخضع لعرض » .

ولا يقتصر الرد على ذلك ، بل يقـــول : « ان الانسان مظهر لصفات الله ، وهو المرآة الصادقة التى تجلت فيها آياته ، يقول : « ان الذى يتراءى فى الانسان (من الكمالات والمحاسن) عكس لصفات الله ، كعكس القمر المنير فى الغدير الصافى ، ان الخلق كالماء النمير تتجلى فيه صفات الله ، وينعكس فيه علمه

www.abulhasanalinadwi.org

وعدله ولطفه كما ينعكس ضوء الكوكب الدرى فى الماء الجـــارى » .

ولكنه يشعر بقصوره وعجزه فى وصف الانسان وضخامة المهمة ودقتها ، ويعلن بصراحة وشجاعة :

« اذا صرحت بقيمة هذا الممتنع(١)

لاحتـــرقت واحتـــرق المســـتمع »

ثم يتســـاءل : هل يجرؤ أحد أن يساوم هـــذا الانســان الغالى ويمنى نفسه بشرائه ، وهل يجوز لهذا الانسان أن يبيع نفسه ـــ مهما تضخم ثمنها ـــ ؟ .

ثم يندفع مخاطبا الانسان ، ويقـــول فى تلهف وتوجع ، وفى شىء من العتاب والأنفة : « يا من من عبيده العقل والحكمة والمقدرة ، كيف تبيع نفســـك رخيصة ؟ » .

ثم يقول : لا محل للمساومة ، فقد تمت الصفقة ، وتحقق البيـــع : « ان الله اشترانا وخلصـــنا من المساومات والمقالات الى آخر الأبد ، فالشىء لا يباع مرتين » .

ثم يحث الانسان على أن يعرف قيمته ، ولا يرضى الا بأكرم المشترين . ويقول : « ابحث لك ـــ ان كنت باحثا ـــ عن مشتر يطلبك ويبحث عنك ، والذى منه بدايتك واليه نهايتك) .

ويلاحظ الشاعر أن من بنى آدم من لا يستحق

(١) يعنى به الانسان .

www.abulhasanalinadwi.org

هذا الوصف . « أشباه الرجال ولا رجال » الذين هم فريسة نفوسهم ، وقتلى شهواتهم ، لا يعرفون من الانسانية الا ما يفوق فيه الحيوان ، من الشبع والرى والشبق .

ويقول بكل بصراحة : (ان هؤلاء ليسوا رجالا ، انما هم صور الرجال ، هؤلاء الذين يحكم عليهم الخبز ، وقتلت الشهوات فيهم الانسانية) .

وقد ندر وجود الانسان الحقيقى فى عصره ، كما ندر فى عصر غيره ، حتى اصبح فى حكم العنقاء المغرب ، والكبريت الأحمر ، وحتى اضطر الباحثون أن يبحثوا عنه بمصباح ديوجانس . وقد حكى الرومى حكاية لطيفة فى هذا الموضوع فى ديوان شعره فقال :

(رأيت البارحة شيخا يدور حول المدينة وقد حمل مشعلا ، كأنه يبحث عن شىء ! فقلت : يا سيدى ! تبحث عن ماذا ؟ قال : قد مللت معاشرة السباع والدواب وضقت بها ذرعا ، وخرجت أبحث عن انسان عملاق وأسد مغوار . لقد ضاق صدرى من هؤلاء الكسالى والأقزام الذين أجدهم ، حولى ، فقلت له : أن الذى تبحث عنه ليس يسير المنال ، وقد بحثت عنه طويلا فلم أجده ، فقال : اننى مغرم بالبحث عمن لا يوجد بسهولة . ولا يعثر عليه فى الطرقات) .

رضى الله عن مولانا جلال الدين الرومى كرجل من رجال الدعوة والفكر فى الاسلام .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

www.abulhasanalinadwi.org

مطبعة الاعتصام بالقاهرة

رقم الايداع ٣٩٣٩/١٩٧٤

www.abulhasanalinadwi.org